٣ - سيوة

نجارة سيوة

يجاور مسطاح البلح الكبير مقام سيدى سليمان ، وهو عبارة عن بناء بسيط يحتوى على مقبرة ، إلا أن له مكاناً محترماً فى قلوب سكان سيوة ، ويحيط بهذا المقام بعض قبور أخرى يقال إنها للمقربين اليه من أتباعه ، ويعلو المقام سعف نخيل معلقة فى نهايته قطع من أقمشة مختلفة الألوان ؛ ويلاصق هذا المقام مسجد جلالة الملك فؤاد الأول ، وبدئ فى بناء هذا المسجد فى عهد الخديو السابق عباس باشا ، حتى وصل ارتفاعه أربعة أمتار ، غير أن العمل وقف فيه لقلة المال وكثرة التكاليف ، ثم تم بناؤه فى عهد صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول فى سنتى ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ، وأصبح مسجداً يضارع مساجد القاهرة الكبيرة فى كبر حجمه وروعة بنائه . ولقد تحريت عن السبب الذى حدا بالخديو السابق أن يفكر فى بناء مسجد كبير كهذا فى واحة منعزلة مثل سيوة على الرغم من صعوبة المواصلات وقلة وسائل العمل فى الوقت السابق ، فروى لى أنه كان يقصد ببنائه أن يكون جامعة إسلامية فى الصحراء الغربية ، يؤمها السنوسيون وغيرهم لتكون لهم بمثابة الأزهر فى وادى النيل ، وأنه كان يتصور أن مثل هذه الجامعة تمكن له فى قلوب السنوسيين فيفيدوه فى الصحراء وقت الحاجة . وعدا هذا المسجد الكبير توجد مساجد أخرى مقامة على نظام المنازل السيوية من الملح والطين ، وسقوف من خشب النخيل ، ولها مآذن غريبة الشكل ، أشبه بمداخن المعامل ، وسمك حائطها من أسفل حوالى مترين ، ثم يقل سمكها تدريجيا كلما ارتفع بناؤها حتى يصل فى النهاية الى ثلث متر تقريبا

وكان أئمة هذه المساجد يدرسون فى الوقت الماضى القرآن للصبيان على طريقة عتيقة غير مألوفة ، وهى أن يحفظوهم القرآن من غير أن يعرفوا القراءة والكتابة ، ولكن مصلحة الحدود أنشأت مدرسة أولية بسيوة تتبع فى تدريسها منهاج وزارة المعارف العمومية ، ويؤمها أولاد السكان ؛ غير أن الأقبال عليها غير كثير برغم كل تسهيل يقدم للأولاد ، وتتساهل المدرسة فلا تطلب من الطلبة إلا أن يلبسوا جلباباً نظيفاً وطاقية نظيفة ، على أن معظم الأطفال يحضرون حفاة من غير أحذية ، ومع كل ذلك فالرجل يفضل أن يشغل ابنه فى الحقل أو الحديقة على أن يعلمه أبسط المبادىء من القراءة والكتابة والحساب ، ووصل الأمر بعناية الحكومة بهؤلاء الناس أن أرسلت اثنين منهم للجامع الأزهر ليتلقوا فيه العلوم الدينية على أحسن الأساتذة ، غير أنهما بعد بضع سنين كرها الأقامة فى القاهرة ودفعهما الحنين إلى سيوة فعادا إليها ولم يحصلا من العلم إلا قليلا

تتكون السوق فى سيوة من بضعة حوانيت متجاورة تبيع كل ما يحتاجه السكان من مختلف الأصناف ، وأثمان جميع الحوانيت واحدة ، ولذا فلا يهم الشارى أن يشترى من هذا أو من ذاك مادام الثمن واحداً ، وإذا دخلت حانوتاً من هذه الحوانيت خيل اليك لأول وهلة أنك فى مخزن بضائع إذ ترى فيه عدة رفوف من خشب قديم وميزان وبعض الأكياس « والمقاطف » فيها دقيق وعدس وفول وسكر ، وفى ركن من أركان الحانوت بضعة أثواب من البفتة ، ومعلق بسقف الحانوت بضعة مناديل للرجال وللنساء ذات ألوان متنافرة غريبة . وترى فى ركن ثان من الحانوت بضع صفائح بها زيت الزيتون وأبسطة من الصوف تنسجها نساء العرب بأيديهن ويبعنها للتجار . ويربح بعض التجار كثيراً من حوانيتهم وبخاصة من بيع البلح وزيت الزيتون ، على أن النقود المتداولة فى سيوة هى النقود المصرية بجميع أنواعها ، ولم أر بها عملة أخرى كما هو الحال فى السلوم ، إذ أننى رأيت فيها العملة التركية القديمة وبعض النقود الايطالية متداولة فى أيدى التجار والأهالى ، وقد اعتاد الأهالى أن يرهنوا حدائقهم وحقولهم لبعض التجار نظير أرباح باهظة ، حتى أن بعض التجار يتمادى فى الجشع فيطلب من المدين أن يسدد دينه بلحاً وزيتوناً ، ولكنه ينص فى شروط الرهن على أن يكون سعر البلح والزيتون نصف سعره المعتاد فى السوق ، وبذلك يكون التاجر قد ضاعف مبلغه الذى أقرضه للمدين زيادة على الارباح التى ينالها عن مبلغه الذى دفعه للمدين ، وفى ظروف كثيرة يقبل المدين كل تلك الشروط الباهظة لحاجته للمال . وقل أن يرى المرء امرأة أمام حانوت من حوانيت البلد ، والعادة أن تمر زوجة التاجر أو أمه ببضاعتها على المنازل

ليشترى أصحابها ما يشاؤون ، وما تشتريه النساء عادة يكون الكحل والحناء وبعض حلى من الفضة : كالدمالج ، والأقراط الكبيرة الحجم التى تتدلى أطرافها من الأذن حتى تصل كتفى المرأة أو الفتاة . ثم إنهن لا يلبسن العقود الملونة من حبات متلاصقة كما هو الحال فى المدن . بل إنهن يلبسن أطواقاً من الفضة حول أعناقهن بأن يدخلن رؤوسهن فيها . ولذا فهى تباع كثيراً لدى التجار ، وأيضاً فانهن يشترين أحذية من جلد أحمر رقيق ، وملاءات يلتففن بها وقت خروجهن ، وهى من قماش قطني ذات خطوط زرقاء تجاورها خطوط رمادية ، وهذه الملاءات يحضرها لسيوة أحد التجار المصريين ، إذ أن لعمه مصنعاً خاصاً ببلده بمديرية الجيزة ، ويشترين أيضاً بعض الاصباغ الخضراء والحمراء والزرقاء ، لصبغ سعف النخيل الذى يصنعن منه « مراجين » وسلات وغيرها

وكثيراً ما تبيع زوجات التجار بعض الأحجبة والتعاويذ الفضية التى عليها آيات من القرآن الكريم . وقد لاحظت أن النساء لا يحاولن تغيير ملبسهن بأحسن منه ، وكلهن فى ذلك سواء . وليس فى السوق سوى قصابين يبيعان عادة لحم الجمال للأهالى والعرب ، ولكنهما مكلفان ببيع لحم الضأن ثلاثة أيام فى الأسبوع هى الأحد والثلاثاء والجمعة ، وهذا طبعاً ليتمكن الموظفون الحكوميون من أكل لحم الضأن . ولذلك لا يذبح القصاب إلا كبشاً واحداً يكفى الموظفين ، لأنهم يشترون فى الأيام الثلاثة اللحم الذى يكفيهم كل الأسبوع .

وأهم ما يشتريه الأهالى من التجار الشاى والسكر فهما عماد الحياة والعمل لدى السيويين والعرب ، ولا يمكن أن يستغنى عنهما منزل قط ، ولاحظت أن إقبال السيويين على شرب القهوة قليل جداً ، بل يمكن القول بأنه معدوم ، وحدث أن احتاج خادمى بنّاً لعمل قهوة فبحث فى حوانيت الواحة كلها فلم يجد .

* * *

يحيك السيويات ملابسهن وملابس أزواجهن وأولادهن باتقان ودقة ، وبعضهن يطرزن ملابسهن بخيوط حريرية مختلفة الألوان ، غير أنه يخالف ما ألفناه فى القاهرة ، وبعض السيويات يغزلن الصوف وينسجنه ويصنعن منه جبباً للرجال يلبسونها وقت الشتاء القارس ، وهذه الجبب وان كانت رديئة المنظر إلا أنها تساعد الرجال على تحمل برودة الشتاء على كل حال .

على أن للسيويين والسيويات طباعاً نراها نحن شاذة لا تتمشى مع ما ألفناه من عادات وأخلاق ، وسنأتى على سرد تلك العادات تباعاً إن شاء الله ؟

طابتن

آخر ميعاد للاكتتاب

فى سندات

شركة مصر للغزل والنسج

يوم ١٥ سبتمبر المقبل

سندات ذات فائدة مرتفعة وثابتة لمدة طويلة

مضمونة بجميع موجودات الشركة

اسرعوا للاكتتاب فى بنك مصر وفروعه

قبل فوات الوقت